﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧﴾ [الأعراف: 137]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبةُ بين إغراقِ فرعونَ وآلِه، وبين تمكينِ المستضعَفين، جزاءَ دمارِ الظّلمةِ الباغِينَ

بعد أن بيَّن سبحانَه ما حَلَّ بفرعونَ وقومِه مِنَ الغرق؛ عقوبةً لهم على تكذيبهم بموسى بعد وجود البراهينِ والأدلَّة، الآيةِ تلو الآيةِ الدَّالَّةِ على صِدْقه، ذَكَر هنا ما فعله ببني إسرائيلَ مِنَ الخيرات[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُسْتَضْعَفُونَ﴾: (الضَّاد، والعين، والفاء) أصلانِ متباينانِ، يدلُّ أحدُهما على خلاف القُوَّة، وهو: الضَّعْفُ والضُّعْفُ[2]، ويقال: الضَّعْفُ في العقل والرَّأي، والضُّعْفُ في الجسد، ويقال: هما لغتانِ جائزتان في كُلِّ وجه، ويقال: كلَّما فتحتَ بالكلام فتحتَ بالضَّعف، تقول: رأيتُ به ضَعْفًا، وأنَّ به ضَعْفًا، فإذا رفعتَ أو خفضتَ فالضَّمُّ أحسنُ، تقول: به ضُعْفٌ شديدٌ، وفَعَلَ ذاكَ مِن ضُعْفٍ شديد[3]، والضَّعْفُ قد يكون في النَّفس وفي البدن وفي الحال، وقيل: الضَّعْفُ والضُّعْفُ لُغتان[4]. وكلُّ ما في القرآن مِنَ الفعل (ضَعُف) ومشتقاته، مِنَ الضَّعْف: هو عدم القُوَّة[5]، ومعنى ﴿يُسْتَضْعَفُونَ﴾ في الآية الكريمة: يُسْتَعْبَدونَ ويُهَانون[6].

(1) المراغي، تفسير المراغي: 9/47 - 48.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ضعف).
(3) الخليل، العين: (ضعف)، والعسكريُّ، الفروق اللُّغوية، ص: 116.
(4) الرّاغب، المفردات: (ضعف).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ: (ضعف).
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/76.

2) ﴿مَشَٰرِقَ﴾: (الشِّين، والرَّاء، والقاف) أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على إضاءةٍ وفتحٍ، مِن ذلك: شَرَقتِ الشَّمْسُ، إذا طلعت، وأشرقت: إذا أضاءت، والشُّروق: طُلُوعها[1]، واسمُ المَوْضِع: المَشْرِق[2]. والمشرق والمغرب: إذا قيلا بالإفراد فإشارةٌ إلى ناحيَتَي الشَّرق والغَرْب، وإذا قيلا بلفظ التَّثنيَة: فإشارةٌ إلى مَطْلِعَي ومَغْرِبَي الشِّتاءِ والصَّيف، وإذا قيلا بلفظ الجمع: فاعتبارٌ بمطلع كلِّ يومٍ ومَغْرِبه، أو بمطلع كلِّ فَصْلٍ ومَغْرِبه[3]. وكلُّ ما جاء في القرآن مِنَ التَّركيب هو من معنى طُلُوعِ الشَّمس ولوازِمِه، وما إليه، فمِن ذلك: (المشْرِق) أصلُه المكان الذي تَشْرُق منه الشَّمسُ، ويُستعمَل للجِهَة التي تَكْنُف ذلك المكانَ مهما امتدَّتْ في جانبيه[4]. وهو المراد بمعنى اللَّفظة في الآية الكريمة.

3) ﴿وَمَغَٰرِبَهَا﴾: (الغين، والرَّاء، والباء) أصلٌ صحيحٌ، معناه: حَدُّ الشَّيء، والغُرْبة: البُعْدُ، ومنه: البُعْدُ عن الوطن، ومن هذا الباب: غُروبُ الشَّمس، كأنَّه بُعْدُها عن وجه الأرض[5]، والغَرْب: خِلافُ الشَّرْق، وهو المغرب، وجُمِعَ هو والمشْرِقُ؛ لأنَّه أُريدَ أنَّها تُشْرِق كلَّ يَوْم مِن مَوضِع، وتَغْرُب في مَوضِع، إلى انْتِهَاء السَّنَة[6]، والغَرْبُ: غيبوبةُ الشَّمس؛ بانصبابها مِنَ الأُفق وغيابها في أدناه، يقال: غَرَبَتْ تَغْرُبُ غَرْبًا وغُرُوبًا، والمغْرب: جِهَةُ الغُروب[7]، وهو المراد بمعنى اللَّفظة في الآية الكريمة.

4) ﴿وَتَمَّتْ﴾: (التَّاء، والميم) أصلٌ واحدٌ منقاسٌ، وهو دليلُ الكمال، يقالُ: تمَّ الشَّيءُ، إذا كَمُل[8]، وتَتِمَّةُ كلِّ شَيْء: ما يكون تَمامَ غَايَتِه[9]، وتمامُ الشَّيء: انتهاؤُه إلى حَدٍّ لا يحتاج إلى شيء خارجٍ عنه، والنَّاقِصُ: ما يحتاج إلى شيءٍ خارجٍ عنه[10]، وكلُّ ما في القرآن مِنَ التَّركيب هو بمعنى استيفاءِ الشَّيء حَجْمَه أو كَمَالَه، بحسب ما ذُكِرَ[11]، ومعنى (تمَّ):

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شرق).
(2) ابن سيده، المحكم: (شرق).
(3) الرّاغب، المُفردات: (شرق).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ: (شرق).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شرق).
(6) ابن سيده، المحكم: (شرق).
(7) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ: (غرب).
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (تم).
(9) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: (تم).
(10) الرّاغب، المفردات: (تم).
(11) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ: (تمم).

وُفِّيَ وَعْدُ اللهِ الذي وَعَدَ بني إسرائيل بتمامه على ما وَعَدَهم، ونَفَذَ قضاؤُه وحَقَّ أمرُه، أي: وفَّتْ كلمةُ الله[1].

5) ﴿كَلِمَتُ﴾: (الكاف، واللَّام، والميم) أصلان: أحدُهما يدلُّ على نُطْقٍ مُفْهِم، وهو: الكلام، ثمَّ يتَّسِعُون فيُسَمُّونَ الحرفَ الواحدَ مِن حُرُوف الهجاء، واللَّفظةَ الواحدةَ المُفْهِمَةَ كلمةً، والقِصَّةَ كلمةً، والقصيدةَ بطُولها كلمةً[2]، أي: قد تُطلَق مُرادًا بها عندَهم ما يقعُ على الألفاظ المنظومةِ، وعلى المعاني التي تحتها مجموعةً، أو على الجُزء مِنَ الكلام، اسمًا كان، أو فعلًا، أو أداةً، وتُطلَق في الاصطلاح على القول المُفْرد، والقولُ: هو اللَّفظُ الدَّالُّ على معنى[3].

ومعنى الكلمة في الآية الكريمة: ما وعدَهم اللهُ به مِن إهلاك عَدوِّهِمْ، واستخلافِهِمْ في الأرض[4]، أو أقضيتُه وعِداتُه لأوليائه في أعدائه، ومواعيدُه التي لا خُلْفَ فيها[5]، أو أمْرُه ونهْيُه، ووعدُه ووعيدُه[6]، ووعدُه تعالى إيَّاهم بالنَّصر والتَّمْكِين، أو هي القولُ واللَّفظُ الذي وَعدَ اللهُ بني إسرائيل على لسان موسى، أو على لسان إبراهيم ﷺ. ويَحْتَمِلُ أنَّها إرادةُ اللهِ في إطلاقهم مِن استعباد القِبْط، وإرادتُه تمليكَهُم الأرضَ المُقَدَّسَة[7]. وإنَّما عَبَّر عنه بالكلمة؛ لأنَّها الأصلُ في الاتِّصاف بالصِّدق والعدلِ، وبها تَظْهَر الآثارُ مِنَ الحِكَم[8].

6) ﴿وَدَمَّرْنَا﴾: الدَّمارُ: استئصالُ الهلاك، يقال: دَمَرَ القومُ يَدْمُرُون دَمارًا، أي: هَلَكوا[9]، والتَّدمير: إدخالُ الهلاكِ على الشَّيء[10]، فالدَّمَارُ: بمعنى الهلاكِ المستأصِل، وهو المراد باللَّفظة في الآية الكريمة، وليس في القرآن مِنَ التَّركيب إلَّا (التَّدمير) بهذا المعنى[11].

(1) البغويُّ، معالم التَّنزيل: 3/273.
(2) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كلم).
(3) الرّاغب، المفردات: (كلم).
(4) الزَّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/371.
(5) الواحديُّ، الوجيز، ص: 372، 410.
(6) البغويُّ، معالم التَّنزيل: 3/181.
(7) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/77.
(8) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/178.
(9) الخليل، العين: (دمر).
(10) الرّاغب، المفردات: (دمر).
(11) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ: (دم).

7) ﴿يَصْنَعُ﴾: (الصَّادُ، وَالنُّونُ، والعَيْنُ) أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، وهو عملُ الشَّيءِ صُنْعًا، مع حِذْقٍ في صِنَاعَتِه[1]، فالصُّنْعُ: إجادةُ الفِعْل، ولذلك يُقالُ للحاذِقِ المُجيد: صَنَعٌ؛ لإجادَتِه عَمَلَه، ولا يُنْسَبُ إلى الحيَوانات والجَمادات، كما يُنْسَبُ إليها الفعل، والاصطناع: المُبالَغَةُ في صُنْعِ الشَّيء[2]، فالصُّنْعُ: جَمْعٌ أو تَحْصِيلٌ في هَيْئَةٍ جَدِيدةٍ، بتدبيرٍ واحتيال أو إحكام، ومنه الآية المباركة: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾، ففيه تدبيرٌ واحْتيالٌ[3]؛ لأنَّ قِوَام صنيعهم الخِدَاعُ والتَّضليلُ والشَّعوَذَة، وكانوا ماهرين فيه مُجيدين.

8) ﴿يَعْرِشُونَ﴾: (العَيْن، والرَّاء، والشِّين) أصلٌ صحيح واحد، مِن عَرَشَ يَعْرِشُ ويَعْرُشُ، ويدلُّ على ارتفاعٍ في شيء مبنيٍّ، ثمَّ يُستعارُ في غير ذلك، ومِنَ الباب: تَعْرِيش الكَرْم: رَفْعُهُ والتَّوثُّق منه، والعريشُ: بناءٌ مِن قُضبانٍ، يُرفَع ويُوثَّق حتَّى يُظلِّل، وعَرْشٌ، وعريش: بناءٌ يُستَظَلَّ به[4]. ويَعْرِشُون: يبنون[5]، والعَرَب تُسَمِّي المَظَالَّ التي تُسَوَّى مِن جريد النَّخل ويُطرَح فوقَها الثُّمامُ: عُروشًا، والواحد مِنْهَا عريشٌ[6].

ومعنى اللَّفظةِ في الآية الكريمة: ما يُنْشِؤون مِنَ الجنَّات ذاتِ العرائش، أو ما كانوا يرفعونه مِنَ البُنيان كَصَرْحٍ، أو ما يُرْفَع مِن دَوالي الكُروم، ويُطلق أيضا على النَّخْلَات العديدة، تُرَبَّى في أصل واحد[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيَّنَ سبحانَه مظاهرَ فضْلِه وكرَمِه على بني إسرائيلَ بعد أن بيَّن نهايةَ فرعونَ وآلِه، فبيَّن كيفيَّةَ تمكين القوم الذين كانوا يُستضعَفون في مصرَ مِن فرعونَ ومَلَئِه بالاستعباد وقَتْلِ الأبناء، وسُوءِ العذاب، عن طريق الاستخلاف في مشارق الأرض ومغاربها، التي بارك الله فيها بالخصوبة وسَعة الأرزاق، وبكونها مساكنَ الأنبياء والصَّالحين؛ ليكونَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (صنع).
(2) الرّاغب، المفردات: (صنع).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ: (صنع).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عرش).
(5) أبو عُبيدة، مجاز القرآن: 1/227.
(6) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: (عرش).
(7) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/267، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/78.

ذلك امتحانًا لهم، واختبارًا لنفوسِهم، وبذلك نَفذتْ كلمةُ اللهِ الحُسنى، ومضتْ عليهم تامَّةً كاملةً، حيثُ رزقهم سبحانَه النَّصرَ على أعدائهم، والتَّمكينَ في الأرض؛ بسبب صَبْرهم على ظُلْم فرعونَ ومَلَئِه، ودمَّر ما كان يصنع فرعونُ وقومُه، مِن بناء القصور الشَّاهقة والمنازل القويَّة، وما كانوا يرفعونه مِنَ البساتين والصُّروح المُشَيَّدة؛ كَصَرْح هامان وغيره[1].

جَزاءُ الصَّابرين، وِراثــةُ الأرضِ والـتّـمـكـينُ، وجَــزاءُ الكَـفـرةِ الهلاكُ والعذابُ المُهِينُ

وممَّا تُرشد إليه الآية الكريمة: ما نُقِل عنِ الحسن البصريِّ أنَّه احتجَّ بقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ إلى آخر الآية، على أنَّه لا ينبغي أن يُخْرَج على مُلوك السُّوء، وإنَّما ينبغي أن يُصْبَر عليهم؛ فإنَّ الله تعالى يُدَمِّرهم. ورُوِيَ عنه أيضًا مِن هداياتها: أنَّ النَّاس إذا قابلوا البلاءَ بمثله وكَلَهم اللهُ إليه، وإذا قابلوه بالصَّبر وانتظار الفَرَج، أتَى اللهُ بالفَرَج[2].

وكفى بهذه الآية حاثَّةً على الصَّبر، وضامنةً على كلِّ حائزٍ للأجر بالتَّفريج عنِ المظلوم ونَصْرِه، وإهْلاكِ الظَّلُوم وقَهْرِه[3]؛ فإنَّ مَن صبرَ على مُقاساة الذُّلِّ في الله، وضعَ اللهُ على رأسه قَلَنْسُوَةَ العِرْفان، فهو العزيزُ سبحانَه، لا يُشَمِّتُ بأوليائه أعداءَهم، ولا يُضيِّعُ مِن جميلِ عَهْدِه جزاءَهم[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ إيثارِ التَّعْبير بالإيراث ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾، وكونِه بصِيغةِ الماضِي:

الإرثُ مماثلةُ الحيِّ ميِّتًا في صفاتٍ كانتْ له، أوِ انتقالُ الحِيازةِ من ميِّتٍ إلى حيٍّ

الواو حرفُ عطفٍ وَصَلَ بها - رابطًا بالعطف - جملةَ: ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾ على جملة ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾، وسمَّاهُ ميراثًا ولم يُسَمِّه إعطاءً؛ لأنَّهم قالوه بعد موت القِبْط، وكذلك هو الميراثُ، ولأنَّهم نالوه بغير سبب

(1) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 5/362 - 363.
(2) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 2/447.
(3) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 3/92.
(4) القشيريُّ، لطائف الإشارات: 1/561.

لهم ولا للقِبْط فيه، خِلافَ الإعطاءِ؛ فإنَّهم ينالون ما أُخِذَ بسببٍ وما أُخذ مِن غير سبب[1].

ويُطلَق الإرثُ أيضا مجازًا على مماثلة الحيِّ ميِّتًا في صفات كانت له، مِن عزٍّ أو سيادة[2]، وهذا الإطلاقُ دلَّ على نعمة الله على بني إسرائيلَ بأن أورثَهم أرضَ مِصرَ والشَّام، التي هي مِن أفضل بقاع الأرض في الخِصب والبركة، وعبَّر عن فعل الإيراث بالماضي للدّلالة على تَحَقُّقِه، وأُضيفَ إلى ضمير التَّعظيم (نا) لتخصيص الفعل به، فهو القادر على نَزْع الملك وإيراثه لمَن يشاء مِن عباده، وليس ذلك عليه بعزيز.

سِرُّ التَّعْبِير بلفظِ ﴿ٱلْقَوْمَ﴾، عن بني إسرائيلَ:

إظهارُ كمالِ لُطْفِه تعالى بهم، وعَظيمِ إحْسَانِه إليهم

(أل) في ﴿ٱلْقَوْمَ﴾ عَهْديَّة ذِهنيَّة، والمقصودُ بهم: بنو إسرائيلَ، ومعناها: أنَّه كانت فيهم قوَّةٌ وكثرةٌ وشِدَّةٌ عزم على ما يحاولونه ويقومون به[3]، فذُكِروا بهذا العُنوانِ إظهارًا لكمالِ لُطفه تعالى بهم، وعظيم إحسانِه إليهم، في رفعهم مِن حضيض المَذَلَّةِ إلى أَوْج العِزَّة[4]، ورسَّخ هذا المعنى الوصفُ بالموصول: ﴿ٱلَّذِينَ﴾، بحسب ما سيأتي.

فائِدةُ الوصْفِ بالاسْمِ الموصولِ: ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

الإيماءُ إلى عِلَّةِ الخبر، والتَّعريضُ ببِشارةِ المؤمنين بمحمَّدٍ ﷺ

في الوصف بالموصول: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ دون غيره، نُكْتَتان: أولاهما: الإيماءُ إلى علَّة الخبر، أي: أنَّ الله مَلَّكَهُم الأرضَ وجعلهم أُمَّة حاكمةً؛ جزاءً لهم على ما صبروا على الاستعباد، غَيْرَةً مِنَ الله على عبيده. الثَّانية: التَّعريضُ ببشارةِ المؤمنين بمحمَّد ﷺ، بأنَّهم ستكون لهم عاقبة السُّلطان كما كانت لبني إسرائيل؛ جزاءً لصَبْرهم على الأذى في الله، وإنذارَ المشركين بزوال سُلطان دينهم[5].

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/245.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/26 - 27.
(3) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 3/91.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/266.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/76.

ففي الوصف به زيادةُ تقريرٍ للغَرَض المَسُوق له الكلامُ، وزيادةٌ في تقرير وقوعه لما في صلة الموصول مِن ظلال دلالاتٍ تُوحي بوقوع حَدَثِ الاستضعاف، فضلًا عمَّا تحملُه مِن معانٍ تتضمَّنُها صلةُ الموصول، بعضُها يُشْعِر بالحَثِّ على الرَّحمة والمعونة والنُّصْرة للمُستضعَفين.

عِلَّةُ بناءِ فعْلِ الاسْتِضعاف: ﴿يُسْتَضْعَفُونَ﴾ للمجهولِ:

وُقوعُ مُسَبِّباتِ الضَّعفِ أعمُّ في الدّلالةِ على الضَّعفِ والاحتقارِ

الاستضعاف: طَلَبُ الضَّعيف بالقَهْر، ثمَّ كَثُر استعمالُه حتَّى قيل: استضعفه، أي: وجدَه ضعيفًا[1]، فالسِّينُ والتَّاء في: ﴿يُسْتَضْعَفُونَ﴾ للحُسْبان، مثل: (استنجَبَ)، أو للمُبالغة كما في (استجاب)[2]. إذا قلنا: فلانٌ ضعيفٌ؛ فهو ضعيف في نفسه، وإذا قلنا: فلان مُتضعَّفٌ؛ أي: مُحْتَقَر، فهو أعمُّ مِن أن يكون في نفسه ضعيفًا، أو قويًّا[3]، بمعنى: وقع عليه أنواعٌ مِن مُسبِّبات الضَّعف. وعَبَّر بالماضي النَّاقص للدّلالة على تَحقُّق وقوعه، ورسَّخَهُ مَجيؤُه بالمضارع؛ دلالةً على تجدُّده عليهم، واستمرارِه، فـ "الجمعُ بينَ صيغتي الماضي والمستقبلِ للدّلالةِ على استمرار الاستضعافِ وتجدُّده"[4].

دَلالةُ وجهَي المجازِ والحقيقةِ، في التَّعْبيرِ عن تمليكِ أطْرافِ الأرضِ:

تمليكُ أبناءِ المُستضعَفين من بني إسرائيلَ، مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، نِعمةٌ غامرةٌ

قوله تعالى: ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾، أي: جانبيها الشَّرقيَّ والغربيَّ، وهذا يتَّجه إمَّا على المجاز؛ لأنَّه مَلَّكَهم بلادًا كثيرة، وإمَّا على الحقيقة في أنَّه مَلَّكَ ذُرِّيتَهم، وهو سليمانُ بن داود ﷺ، ولكنَّ الّذي يليق بمعنى الآية ورُوِيَ فيها، هو أنَّه ملَّكَ أبناءَ المُستضعَفين بأعيانهم مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، يُؤكِّدُه وَصْفُه الأرضَ بأنَّها التي بارك فيها[5].

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/375.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/76.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/245.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/266.
(5) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 2/446.

دَلالةُ تقديمِ المَشارقِ على المَغارِبِ:

بدأتِ الآيةُ بتقديم (المشارق) على (المغارب) دلالةً على التَّفاؤل والبِشارة، بأنَّ بني إسرائيلَ سيستولون أوَّلًا على أرضِ فرعونَ وقومِه مِن جهة المشرق، حيث كانت تطلُعُ عليهم الشَّمس، فالمشارق تدلُّ على أوَّل الأمور وأفضلها، وفي التَّقديم إفادةُ التَّشبيه والتَّضادِّ بينَ حال بني إسرائيلَ قبلَ وبعدَ نَصْرِ اللهِ لهم؛ فقد كانوا - قبل إهلاك اللهِ فرعونَ وقومَه - في ظُلمات العبوديَّةِ والذِّلَّة، ثمَّ أخرجهم اللهُ إلى نور الحريَّة والعِزَّة، فكأنَّ شروقَ الشَّمس يدلُّ على تحوُّل حياتهم مِنَ الظَّلام إلى النُّور، ومِنَ الضِّيق إلى الفَرَج.

الدّلالةُ على التَّفاؤُلِ والبِشارةِ، بتحوُّلِ الحياةِ إلى الرّفاهِ والنّضارةِ

السِّرُّ في جمْعِ (المشارقِ) و(المغاربِ):

قوله تعالى: ﴿مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾، وفيها وَرَدَ لفظا (المشارق والمغارب)، وهي جمعٌ باعتبار تعدُّد الجهات؛ لأنَّ الجهة أمرٌ نسبيٌّ، تتعدَّد بتعدُّد الأمكنة المفروضة، والمرادُ بهما إحاطةُ الأمكنة[1]. فالحقُّ تعالى جاء بـ (المشرق والمغرب) بصيغة الجمع؛ ليدلَّ على أنَّ لكلِّ مكانٍ مَشْرِقًا، ولكلِّ مكانٍ مَغْرِبًا، فإذا غربتِ الشَّمس في مكانٍ فهي تُشرق في مكان آخر[2]. وفيه طباق إيجاب بينَ المشارق، والمغارب[3]، أدَّى وظيفةَ الرَّبطِ بين عناصر الآية الكريمة، المؤدِّي إلى مزيد إيضاحٍ وبيانٍ للمعنى.

جمْعُ لفظَيِ (المشارقِ والمغاربِ) للإحاطةِ بالأمكنةِ؛ باعتبارِ أنّ لكلِّ مكانٍ مَشْرِقًا ومَغْرِبًا

نُكْتَةُ إيثارِ صِيغةِ: (فاعَلَ)، في ﴿بَرَكْنَا﴾:

﴿بَرَكْنَا﴾ جعلنا الخيرَ فيها دائمًا ثابتًا[4]، مستقرًّا كثيرًا، أدَّاهُ التَّعبير بالماضي على وزن (فاعَلَ) الدَّالِّ على المبالغة والتَّكثير في هذا الموضع، والمضافُ إلى ضمير التَّعظيم تخصيصًا؛ لإنزال

ذِكْرُ الأرضِ المبارَكِ فيها، تَنويهٌ بقَداسةِ ما قدّسَه اللهُ وبارَكَ فيه

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/77.
(2) الشَّعراويُّ، تفسير الشَّعراويُّ: 7/4327.
(3) الأندونيسّي، الشَّامل: 1/423.
(4) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/375.

البركة به، و﴿ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا﴾ نعتٌ للأرض، أو للمشارق والمغارب في قوله: ﴿مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾، والثَّاني أولى؛ لتَجَنُّب الفَصْل بالمعطوف بين الصِّفة والموصوف[1]، والوَصْفُ بالجُملة أقوى في الدّلالة مِنَ المفرد.

بَراعةُ التَّعْبير بالتَّمامِ على طريقِ الاسْتِعارةِ، في قوله: ﴿وَتَمَّتۡ﴾:

الواو في: ﴿وَتَمَّتۡ﴾ عاطفةٌ، ومعنى (تمَّت): مضَت واستمرَّت ﴿عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ﴾، أي: بسبب صَبْرِهم على الشَّدائد التي كابدوها مِن جهة فرعونَ وقومِه[2].

الاسْتِعارةُ إرادةٌ لإنجازِ الوعْدِ؛ الّـذي بـه تـمامُ النِّعمةِ، وكمالُ المُتَوقَّعِ

ووجه الاستعارة في: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ عدمُ وجود نقصٍ يحتاج إلى التَّمام، وإنَّما المراد: إنجازُ الوعد المتقدِّم لبني إسرائيلَ؛ بإهلاك عدوِّهم وإعلاءِ أمرهم، وإنَّما سُمِّي الإنجازُ تمامًا؛ لأنَّ به تمامَ النِّعمة، وكمالَ المتوقَّع[3]، ولأنَّ الوعد بالشَّيء يبقى كالشَّيء المعلَّق، فإذا حصلَ الموعُود به فقد تمَّ لك الوعدُ وكَمُل[4]، فتمامُ الكلمة تحقُّق وَعْدِها، شَبَّهَ تحقُّقَها بالشَّيء إذا استوفى أجزاءَه. ويَحْتَمِلُ أنَّها كلمةُ الله في عِلْمه وقُدْرَته، وهي إرادةُ الله إطلاقَهم مِن استعباد القِبْط، وإرادتُه تمليكَهمُ الأرضَ المُقَدَّسَة، كقوله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ [النساء: 171]، وتمامُ الكلمة بهذا المعنى: ظهورُ تعلُّقِها التَّنجيزيِّ في الخارج، على نحو قول موسى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: 21][5].

نُكْتَةُ تَعدِيَة فعْلِ التَّمامِ بـ﴿عَلَىٰ﴾ تَضمينًا:

وعُدِّيَ فعلُ التَّمام بـ﴿عَلَىٰ﴾ للإشارة إلى تضمين ﴿وَتَمَّتۡ﴾ معنى:

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/266.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/266.
(3) الشَّريف الرَّضِي، تلخيص البيان، ص: 76.
(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/181.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/78 - 77.

الإنعام، أو معنى: حقَّتْ[1]؛ ليعطيَ جماعَ دلالة الفِعلَين، أي: تمَّتْ نعمةً، وتمَّتْ مُسْتَحَقَّةً لهم، وهو أقوى مِن إعطاء معنًى واحد، وتحرير ذلك: أنَّ استعمال الفعل (تمَّ) في هذا الموضع فيه قصدٌ إلى معنًى معيَّن، لا يتأتَّى مِن دون ذِكْره، إلَّا أنَّ تعديتَهُ بالحرف على غير عادة استعماله، فيه ضربٌ مِنَ التَّوسُّع في المعنى مع غاية الإيجاز، ومُؤدَّاهُ أنَّ للفعل دلالةَ أصلِ معناه، وباستعمال حرف الجرِّ الذي يتطلَّب فعلًا آخَر، يصبح للمعادَلة وجهان متكاملان؛ إذ يُؤدِّي الفعلُ أصلَ معناه بالتَّصريح به، ويقتضي حرفُ الجرِّ معنى الفعل الذي يطلبُه بالتَّضمين. وقد تقدَّم الحديثُ عن هذا المُعْطى البلاغيِّ عند تفسير الآية [95] مِن سورة الأعراف.

إعطاءُ جِماعِ دَلالةِ الفِعْلَين، ضَربٌ مِنَ التَّوسُّعِ في المعنَى مع غايةِ الإيجازِ

تَوجيهُ القراءةِ القرآنيّةِ، بقولِه: ﴿كَلِمَتُ﴾ بصِيغةِ الجمْعِ:

قوله تعالى: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالإفراد على قراءة جمهور القُرَّاء، أي: وَعْدُه تعالى إيَّاهم بالنَّصر والتَّمكين، كما يُنبئ عنه قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [القصص: 5] أو هي القول، وهو هنا: يحتمل أن يكون المرادُ به اللَّفظَ الذي وَعَدَ اللهُ بني إسرائيلَ على لسان موسى في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 129]، أو على لسان إبراهيمَ، وهي وَعْدُ تمليكهمُ الأرضَ المقدَّسَة.

تعدُّدُ وعودِه تعالى للصّابرين، بالنَّصرِ والتَّمْكينِ

وقَرَأ الحَسَنُ البَصريُّ: (كَلِماتُ) عَلى الجَمْع[2]؛ لتَعدُّد المواعيد[3]، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٨﴾ [النجم: 18]، فيكونُ مِن وَصْف الجمع بالمفرد المُؤنَّث، وكونُه نعتًا لمفردٍ مؤنثٍ غيرِ مجموع أبلغُ في الوصف[4].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/78.

(2) وهي قراءة شاذة، رُوِيت في غير المتواتر عن عاصم، وعن أبي عمرو. يُنظر: أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/376، وعبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات: 3/144.

(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/266، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/77.

(4) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/376.

بَلاغةُ الوصْفِ بلفظِ: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾:

الحُسْنَى: تأنيثُ الأحسن، صفةٌ للكلمة[1]، ووَصَفَها بالحُسْنى لأنَّه وَعْدٌ بمحبوب[2]؛ لأنَّها صفةُ تشْريفٍ، كما يُقال: الأسماءُ الحُسْنى، أي: كلمةُ ربِّك المُنزَّهة عنِ الخُلْف. ويَحْتَمِلُ أن يكون المرادُ حُسْنَها لبني إسرائيلَ، وإن كانت سيِّئةً على فرعون وقومه؛ لأنَّ العَدْل حَسَنٌ وإنْ كان فيه إضرارٌ بالمحكوم عليه[3].

الحُسْنَىٰ وَعْدٌ بمحبوبٍ؛ لكونِها صفةَ تَشريفٍ وتَكريمٍ

الالتفات في قوله: ﴿رَبِّكَ﴾:

والخطاب في قوله: ﴿رَبِّكَ﴾ للنَّبيِّ ﷺ، أُدْمِجَ في ذِكْر القِصَّة تخصيصًا لها بالخطاب، على الالتفات الحاصل مِنَ الغيبة إلى الخطاب[4]؛ لتحقيق معنى: أنَّ الذي حَقَّق نصرَ موسى وأُمَّتِه على عدوِّهم هو ربُّك، فَسَيَنصُرك وأمَّتَك على عَدوِّكُم؛ لأنَّه ذلك الرَّبُّ الذي نصرَ المؤمنين السَّابقين، وتلك سُنَّتُه وصُنْعُه[5].

الآيةُ بِشارةُ نَصْرِه ﷺ وأُمَّتِه على عَدُوِّهم

سِرُّ العُدُول عنِ التَّذْييلِ إلى العطْفِ:

جملة: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ عطفٌ على جملة: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾، والمقصود مِن هذا الخبر هو قولُه: ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾؛ تنويهًا بفضيلة الصَّبر وحُسْنِ عاقبته، وبذلك الاعتبار: عُطِفَت هذه الجُملة على التي قبلها، وإلَّا فإنَّ كلمة اللَّه الحُسْنى على بني إسرائيلَ تَشْمَل إيراثَهمُ الأرضَ التي بارك اللَّه فيها، فتتنزل مِن جملة: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ إلى آخرها منزلةَ التَّذييل الذي لا يُعْطَف، فكان مقتضى العَطْفِ هو قوله: ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾[6].

الاعتبارُ بفضيلةِ الصَّبرِ، وحُسْنِ عاقبتِه، في العاجلِ والآجلِ

(1) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 2/149.
(2) الكرمانّي، غرائب التَّفسير وعجائب التَّأويل: 1/420.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/78.
(4) الطِّيبيّ، فتوح الغيب: 6/539.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/78، ونفى ابنُ عاشور أن يكون في الخطاب التفاتٌ مِنَ الغيبة إلى الخطاب؛ لاختلاف المُراد مِنَ الضَّمائر.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/77.

سِرُّ التَّعْبِير بالباءِ السَّببيَّةِ والمصْدرِ في: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾:

التّعبيرُ عن شدَّةِ صَبْرهم، وبيانِ فـائِـدةِ الـصَّـبرِ، والحثِّ عليه

الباء في: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ للسَّببيَّة، و(ما) مصدريَّة، أي: بِصَبْرهم على الأذى في ذات الإله، وفي ذلك تنبيهٌ على فائدة الصَّبر، وأنَّ الصَّابرَ صائرٌ إلى النَّصْرِ وتحقيقِ الأَمَل[1]، وحسبُكَ به حاثًّا على الصَّبر، ودالًّا على أنَّ مَنْ قَابلَ البلاءَ بالجَزع وَكَلَهُ اللهُ إليه، ومَن قابلَهُ بالصَّبر وانتظارِ النَّصر ضَمِنَ اللهُ له الفَرَجَ[2]، لذا كان التَّعبيرُ بالمصدر المُنسَبِكِ أدلَّ في هذا الموضع؛ لبيان قُوَّة صَبْرهم. وللإلماحات السَّابقة بتَضَجُّرهم، استُغْرِبَ وَصْفُهم بالصَّبر، وأُجيبَ عنه بوجهين: إمَّا أنَّ ذلك في أوَّل أمرِهم ثمَّ صَبَرُوا، وإمَّا أنَّ التَّضَجُّر مِن عوامِّهم، والصَّبرَ مِن خواصِّهم، فبِبَركة صَبْرِهم غُفِرَ لعوامِّهم، وصار الجميعُ كأنَّهم صبروا، وحُكْمُ العَوامِّ لحكْمِهم[3].

فائِدةُ التَّعْبيرِ بالتَّدْميرِ عنِ الإهلاكِ:

إطْـلاقُ التَّـدْمِيرِ عـلـى إهـــلاكِ المـــصـــنـــوعِ مَجازيٌّ، علاقتُه الإطلاقُ

وقولُه تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا﴾، التَّدميرُ: تخريب قصورِهم وأبنيتِهم بالهلاك[4]، فهو التَّخريبُ الشَّديد، وهو مصدرُ (دمَّر الشَّيء)، إذا جعلَه دامِرًا للتَّعديَة، مُتَصَرِّفٌ مِنَ الدَّمار - بفتح الدَّال - بمعنى: الإهلاك جميعًا. وجاء به على صيغة الماضي المُضَعَّف (فعَّل)؛ للدّلالة على التَّكثير والمبالغة، وإطلاقُ التَّدمير على إهلاك المصنوع مجازيٌّ، علاقتُه الإطلاقُ؛ لأنَّ الظَّاهر أنَّ التَّدميرَ حقيقتُه إهلاكُ الإنسان[5].

بَلاغةُ تقديمِ الصُّنْعِ، وإظهارِ فاعِلِيْه:

الأهـمُّ بالنِّسبةِ إلى الـتَّـدْمِـيرِ الـصُّـنْـعُ، وهـو مَلمحٌ للمُبالغةِ في الذَّمِّ

ومعنى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾، أي: ودَمَّرنا الذي كان فرعونُ يَصْنَعُه، على أنَّ ﴿فِرْعَوْنُ﴾ اسمُ كان، و﴿يَصْنَعُ﴾ خبرٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/78.
(2) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 2/149.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/245 - 246.
(4) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/376.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/78.

مُقَدَّمٌ، وقَدَّمَهُ لكون الأهمَّ بالنِّسبة إلى التَّدمير الصُّنْعُ[1]، وأظْهَرَ الصَّانِعينَ وصَرَّح بهم - وهم فرعونُ وقومُه - زيادةً في الذَّمِّ؛ لأنَّ مَوْرِد الذِّكْر في مواطن الخيبة والخُسران والعذابِ والعقوباتِ إذلالٌ ومهانةٌ، يناسِبُهُ التَّصريحُ، وعَطَفَ مُصَرِّحًا بقوْمِهِ إلماحًا باستحقاقهم العقوبةَ معه؛ لكونهم مشاركِين في صنائعِ الاستبداد والظُّلم والباطل.

بَراعةُ التَّقابُلِ التَّركيبيِّ الاسْتِلزامِيِّ، بينَ الإيراثِ والتَّدْميرِ:

إيـــراثُ بـنِـي إسرائيلَ الأرضَ، يقتضِي إذهـابَ ما صَنَعَ فرعونُ ومَـلَـؤُه، وعـدمَ بقائِه

قولُه تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ يقتضي ذهابَ كلِّ ما صنعوا، وعدمَ بقائه، وقولُه تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟﴾، يقتضي البقاءَ[2]، فالجامع بينَهما خياليٌّ، أو هو عقليٌّ؛ لما بينَهما مِن تضايف، فإنَّ إيراثَ القوم المُسْتَضعَفين علَّةٌ - بحسب الظَّاهر - لتدمير ما يَصْنعُه المستكبِرون[3].

دَلالةُ التَّعْبيرِ بالمضارعِ ﴿يَعْرِشُونَ﴾، بين التَّشبيهِ والاسْتِعارةِ:

الصُّورةُ البيانيّةُ في الآيـةِ، تُجَلِّي المعنَى في جمالٍ واتِّساقٍ

﴿يَعْرِشُونَ﴾ ما كان يبنونَ مِنَ الجنَّات، أو يرفعونَ مِنَ الأبنيَة المُشَيَّدةِ في السَّماء؛ كَصَرْح هامانَ وفرعونَ، ومباني الأهرامِ والهياكل[4]، وهو المناسب لفعْل ﴿وَدَمَّرْنَا﴾، شَبَّه البناءَ المرفوعَ بالعَرْش.

ويجوز أن يكون ﴿يَعْرِشُونَ﴾ استعارةً لقُوَّة الملك والدَّولة، ويكون ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ ترشيحًا للاستعارة[5].

وقوله: ﴿يَعْرِشُونَ﴾ قرأَهُ ابنُ عامر وأبو بكر عن عاصم: ﴿يَعْرُشُونَ﴾ بضَمِّ الرَّاء، والباقون بالكسر، وهما لغتان: عَرَش الكَرمَ يَعْرِشُه ويَعْرُشُه، والكَسْرُ لغةُ الحجاز، قال اليزيديُّ: "وهي أفصحُ".

(1) القونويّ، حاشيَته على تفسير البيضاوي: 8/488.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/245.
(3) القونويّ، حاشيَته على تفسير البيضاوي: 8/488.
(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/181.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/79.

وقُرِئَ شاذًا بالغَيْن المُعْجَمة والسِّين المهْمَلة، مِن غَرْس الأشجار، قال السَّمين: "وما أَظُنُّه إلَّا تصحيفًا"[1].

وقرأ إبراهيمُ بنُ أبي عَبْلَة: (يُعَرِّشون) بضَمِّ الياء وفتحةِ العين وراءٍ مُشَدَّدةٍ مكسورة[2]، والتَّضعيفُ دلالةُ الشِّدَّة والمبالغة والتَّكثير.

دَلالةُ الجمْعِ بينَ الماضي والمضارعِ، والعُدولِ في الخبَرِ إلى المضارعِ:

بيانُ التَّعْبيرِ عنِ الاستمرارِ والتَّكَرُّرِ، واستحضارُ الصُّورةِ في ذِهْنِ المُخَاطَبِ

عبَّرَ بالفعل: ﴿كَانَ﴾ في الصِّلَتين للدّلالة على التَّحَقُّق، وأنَّ ذلك دأْبُه، أي: ما عُني به من الصَّنائع (يَصْنَعُونَ)، والجَّنات ﴿يَعْرِشُونَ﴾. وأردفه بخبري (كان) على صيغة المضارع؛ للدّلالة على التَّجدُّد والتَّكَرُّر[3]، فجمع بين صيغتي الماضي والمضارع؛ للدّلالة على الاستمرار في الأزمنة الماضية، فالجمعُ بين صيغتي الماضي والمستقبلِ للدّلالةِ على الاستمرار والتَّجدُّد، فضلًا عن أنَّ عدولَه في خبر كان مِنَ الماضي إلى المضارع جاء لاستحضار الصُّورة في ذِهْن المخاطَب، والأصلُ: ما صَنَعُوا، وما عَرَشُوا[4].

آخِرُ ما قصَّ اللهُ مِن نبأِ فرعونَ والقِبطِ، في ذلك الزّمانِ البعيدِ:

حُسْنُ بَراعةِ الختامِ، انْتقاءُ لِما به يُختمُ الكلامُ

قال الزَّمخشريُّ بعد قوله تعالى: ﴿يَعْرِشُونَ﴾: "وهذا آخِر ما اقتصَّ اللهُ مِن نَبأ فرعونَ والقِبْطِ، وتكذيبِهم بآيات الله، وظُلْمِهم، ومعاصيهم"[5]، وعلَّق السُّيوطِيُّ: "وهو مِن براعة الختام؛ إذ ختم بما آذَنَ بالانتهاء مِنَ الإهلاك، والإغراقِ، والتَّدمير، والميراثِ، وتمامِ الكلمة، وكلُّ لفظةٍ مِن هذه كافيةٌ في حُسْن براعةِ الخِتام"[6].

(1) السَّمين الحلبيّ، الدُّر المصون: 5/441.
(2) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 2/447، وهي قراءة شاذَّة.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/79.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/266 - 267، والأندونيسّي، الشَّامل: 1/423.
(5) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 2/149.
(6) السُّيوطيُّ، قطفُ الأزهار في كشف الأسرار، ص: 1048.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الميراثُ والإعطاءُ:

سُمِّي مِيراثًا؛ لأنَّهم نالُوه بغير سَببٍ لهم، بلِ انتقلَ إليهم عن غيرِهم

وسمَّاه ميراثًا ولم يُسَمِّه إعطاءً؛ لأنَّهم نالوهُ بعد موت القِبط، وكذلك هو الميراث، ولأنَّهم نالوه بغير سببٍ لهم ولا للقِبط فيه، خِلافَ الإعطاء، فإنَّهم ينالون ما أُخِذ بسبب، وما أُخِذ مِن غير سبب[1]، ويُطلَق الإرث أيضا مجازًا على مماثلة الحَيِّ ميِّتًا في صفات كانت له، مِن عزٍّ أو سيادة[2].

التَّمامُ والكمالُ:

التَّكميلُ استيعابُ الأجزاءِ، والتَّتميمُ قد يكونُ بما وراءَ الأجزاءِ مِن زياداتٍ

تَمَّ الشَّيءُ: إذا اكتمل، ومِن ذلك التَّميمَة، كأنَّهم يريدون أنَّها تمامُ الدَّواءِ والشِّفاءِ المطلوب[3]، فالتَّمامُ: هو الشَّيء الذي به يتمُّ الشَّيء ويكتَمل، ولهذا قال أصحاب النَّظم: القافيةُ تمامُ البيتِ، ولا يُقال: كمالُ البيت، ويقولون: البيتُ بكماله، أي: باجتماعه، ويُقال: هذا تمامُ حَقِّكَ، للبعض الذي يتمُّ به الحَقُّ، ولا يُقال: كمالُ حَقِّك[4].

فتمامُ الشَّيءِ: انتهاؤُه إلى حَدٍّ لا يحتاج إلى شيء خارجٍ عنه، والنَّاقص ما يحتاج إلى شيء خارجٍ عنه[5].

والكَمالُ: التَّمام الذي يُجزَّأُ منه أجزاؤُه، تقول: لكَ نِصْفُه وبعضُه وكَمالُه، وأكملْتُ الشَّيءَ: أجملْتُه وأَتممتُه[6]، وهو في اللُّغة: حصولُ ما فيه الغَرَضُ والغايَةُ مِنَ الشَّيء[7].

والتَّكميل: استيعابُ الأجزاء التي لا تُوجد الماهيَّةُ المركَّبة إلَّا بها، والتَّتميم: قد يكونُ بما وراءَ الأجزاءِ مِن زياداتٍ، يتأكَّدُ بها ذلك

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/245.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/26 - 27.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (تم).
(4) العسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 263.
(5) الرّاغب، المفردات: (تمم).
(6) الخليل، العين: (كمل).
(7) الرّاغب، المفردات: (كمل).

الشَّيءُ الكامل، ويُستأنَسُ لذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة: 3]، لـمَّا كانت أركانُ الدِّين وُجِدَ منها الجزءُ الأخيرُ إذ ذاكَ، استُعْمل فيه لفظُ الكمالِ، ولـمَّا كانت نِعَمُ اللهِ حاصلةً للمؤمنين قبل ذلك اليوم غيرَ ناقصةٍ، استُعمل فيها الإتمامُ؛ لأنَّه زيادةٌ على نِعَم الله التي كانت قبلَ ذلك كاملةً، فإنْ تمَّ هذا، ظهرَ وَجْهُ تسميَةِ الأوَّل بالتَّكميل؛ لأنَّه يَدفع إيهامَ غيرِ المراد، وذلك كالجزء مِنَ المراد؛ لأنَّ الكلام إذا أوْهَم خِلافَ المُراد، كان كالّذي دلالته ناقصة، بخلاف التَّتميم[1].

التَّمامُ الإِتْيانُ بِمَا نَقَصَ، والكَمالُ تَمامٌ وزِيادَةٌ، فَهُوَ أَخَصُّ

والتَّمام يَسْتَدْعِي سَبْقَ نَقْصٍ، بِخِلاف الكَمال، ولذلك عُبِّر به عنِ الإتْيان بِمَا نَقَص مِنَ النَّاقِص، والكَمالُ: الزِّيادةُ على التَّمامِ، فَلَا يَفْهَمُ السَّامِعُ - عربيًّا أو غَيرَه - مِن رَجُلٍ تامِّ الخَلْقِ إلَّا أنَّه لا نَقْصَ في أَعْضائه، ويَفْهَمُ مِن (كاملٍ) مَعْنًى زائدٍ على التَّمامِ، كالحُسْنِ والفَضْلِ، فالكَمال تَمامٌ وزِيادَة، فهو أخصُّ[2].

فالتَّمامُ هو الجزءُ الأخيرُ الذي به يتمُّ الشَّيءُ، فتتمُّ به أجزاؤُه، فيُصبحُ كاملًا[3]، والتَّمامُ يأتي لنَفْي النَّقْص، والكمالُ يأتي لنَفْي العيْب بأنواعه، والنَّقصُ نوعٌ مِنَ العيْبِ[4].

وبهذا ناسبَ لفظُ التَّمام سياقَ الآية الكريمة؛ لكونه إتمامًا لوَعْد اللهِ بإيراث بني إسرائيلَ الأرضَ، وقُصِدَ إلى استعمال الإتمام؛ لأنَّه زيادةٌ على نِعَم الله التي كانت قبلَ ذلك كاملةً، وانتهاؤه إلى حَدٍّ لا يحتاج إلى شيء خارج عنه.

(1) بهاء الدِّين السُّبكّي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: 1/614 - 615.
(2) الزَّبيديُّ، تاج العروس: (تمم).
(3) زيدان، الفروق اللُّغوية، ص: 66.
(4) داود، معجم الفروق الدّلاليَّة، ص: 160.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»